حوار مع الكاتب والباحث كامل شياع:

يواجه اليسار تحديات هيمنة ثقافة الامتاع الرخيصة والاستهلاك والتحكم الضار لمنطق السوق في مصير الثقافة الجادة

مازن لطيف علي
شارع المتنبي

"الثقافة العراقية في تجربتها خلال العقود الستة الماضية تميزت بكونها ثقافة ذات منحى دنيوي علماني غالب ..انها ثقافة مدينية تأثرت بالايديولوجيات السياسية الحديثة التي سادت العراق وانحازت لافقها وعبرت عنها ، مثلما خالفتها وتمردت عليها ، هذا ما يؤكده الكاتب والباحث الاستاذ كامل شياع احد مثقفي العراق الذي يرى ان الامل معقود على المثقف العراقي في المساهمة بصنع نظام انتاج ثقافي متعدد المصادر ومتنوع الاتجاهات ، وفي دوره كمروج لرؤية انسانية عقلانية منفتحة على العالم تسهم في قيم المساواة وحرية الانسان وكرامته وخلق استجابة عامة للفن والجمال"

❖بعد التغيير الكبير الذي حصل في ٩ نيسان ٢٠٠٣ ظهرت ملامح حقيقية لجميع البنى والتركيبات الاجتماعية المكونة للمجتمع العراقي، ماذا سيكتب التاريخ عن هذه البنى والتكوينات ؟ وهل تمثل اعادة كتابة التاريخ اعادة تقييم جديدة تعطي لكل ذي حق حقه؟

- من الصعب التفكير بكتابة التاريخ أو اعادة كتابته بالمعنى الحرفي للكلمة في هذه المرحلة المعقدة المليئة بالمفاجآت والمشحونة بالأفعال وبردود الافعال لمختلف الأطراف السياسية التي تمتلك احيانا صوراً وهمية عن دورها وحجمها ومشروعها. تاريخنا الآن في طور الصنع، وعلينا إن نعيش المرحلة قبل أن نفكر بكتابة تاريخها. الوضع السياسي الإنتقالي والقلق والحراك الاجتماعي الشديد الموجود في البلد يعكس في عمقه تشظي المجتمع وحالة البلبلة العامة التي من مؤشراتها انعدام اللغة المشتركة بين افراد المجتمع والجماعات والقوى، وبينها وبين الدولة الناشئة. كل يبحث عن ضالته وفرصته ومصالحه المباشرة، أما شروط الحوار والتفاهم فاضعف بكثير من شروط الاختلاف والخصام. آمل إن تفضي هذه المرحلة الاستثنائية ولكن الضرورية الى نقطة من الوضوح وإنجلاء حقيقة البرامج السياسية، وزرع الثقة بين اللاعبين السياسيين وإيمان بالمشرع الديمقراطي والسبل المؤدية إلى تحقيقه. والديمقراطية ليست شعاراً يرفع، وإنما مبادئ والتزامات. ينبغي أن لا ننسى أننا خرجنا من تجربة إستبدادية من العيار الثقيل. فالحاكم لا يأمن المحكوم ويحتقره، والمحكوم لا يأمن الحاكم ولا يثق به، والنظام الديكتاتوري السابق كان قائماً على قرارات اعتباطية وخوف وقتل وتجنيد الناس جماعات وافراداً في مهام عبثية. طيلة فترة السنوات الـ٣٥ من حكم الحزب الواحد الماضية، مارست السلطة دورين: تضليل الوعي وتشويهه، وتسلط عار ونظام اوامري وسلسلة مغامرات مدمرة سيق لها الناس دون سبب، وغالباً دون ممانعة ودون مقاومة تذكر. اليوم نحتاج إلى إعادة ثقة الناس بالحكومة، والمناخ المضطرب والسلبي القائم قد يكون مساعداً لتحقيقها بين الاطراف السياسية، وبينها وبين الشعب على ارضية الدستور ومجلس النواب والحكومة. الحاجة أم الإختراع، كما يقال، وليس هناك طريق سهل للإنتقال إلى نظام جديد لا سابق لنا به، هو النظام الديمقراطي البرلماني. من إيجاد الثقة بين الدولة والمجتمع، وبين اللاعبين السياسيين يمكن أن تنفتح مجالات اوسع للحوار . المهمة التي يواجهها العراق اليوم لا تنحصر في سماع اصوات حرة من هنا وهناك، المهمة الأساسية هي كيف نصنع من هذا التنوع والتضاد والتعارض الواسع والقاتل، إجماعاً صادقاً حول مشروع بناء الوطن، الذي هو مشروع عمل وليس مشروع كلام وبلاغة سياسية. لا يكفي إن نتكلم عن الديمقراطية والحقوق، ينبغي إن ننتقل الى التسليم بمبادئ وثوابت تنطبق على الجميع دون إستثناء، أي العدالة وسيادة القانون. اذا لم نتمكن من تجاوز تكرار أفكار الماضي بأشكال جديدة، ولدينا اليوم أكثر من حالة لقوى الماضي التي تتنكر بزي الحاضر وتمارس انتهازية وتظاهراً زائفاً، اذا لم نمتلك إرادة نقد الماضي وتعريته، لا يمكننا أن نبدأ من حيث ينبغي أن نبدأ. لا يمكن بناء المستقبل بأفكار معاد تصنيعها من منتجات الماضي. وللأسف النسبة الأكبر من قوانا السياسية ما زالت مشدودة للماضي، وغير قادرة على إدراك أن المستقبل، بالنسبة لنا أو لسوانا من الشعوب، أهم من الماضي. أقول هذا وأضيف أنه ينبغي أن لا نخشى كثيراً على الماضي لأنه معنا وفينا دائماً، وهو عصب وجودنا الذي لا يمكن قطعه. ولكن علينا أن ننظر إلى المستقبل، أي إلى ما لم يحدث بعد. فقيمة الحياة في المستقبل، القوى الأصيلة حقاً هي التي تحترم المستقبل، وتعمل من أجله وتضحي في سبيله. عكس ذلك نجده عند القوى المتطرفة والمتعصبة التي لا تريد التنازل عن صورة ما وهمية عن الماضي. في حين أن الحيود عن الماضي ليس اسقاطاً له بل وسيلة لأسترجاعه على مستوى مختلف. يجب إن نذهب إلى الامام ولا خشية على الماضي إذا خدم المستقبل.

❖ما هي صورة المثقف العراقي العلماني عن الحراك الديني؟ وماذا عن استسلام المثقف للوضع الذي هو فيه ؟ وما مدى قدرة المثقف على خلق مجتمع مدني؟

- الثقافة العراقية في تجربتها خلال العقود الستة الماضية تميزت بكونها ثقافة ذات منحى دنيوي علماني غالب. إنها ثقافة مدينية تأثرت بالايديولوجيات السياسية الحديثة التي سادت في العراق وإنحازت لأفاقها وعبرت عنها، مثلما خالفتها وتمردت عليها. وإجمالاً فإن تأثرها بالاتجاهات السياسية لم يأت دائماً من خلال مناصرتها للايديولوجيات السياسية أو معارضتها لها، فهذه مسألة شكلية أو عابرة. جوهر الأمر أن النظرات الأيديولوجية الحديثة إجتذبت إليها الثقافة والفنون لوجود فكرة أو مخيال تاريخي يجمع بينها.

الثقافة بطبيعتها تعمل في حقل او مجال يختلف عن مجالي السياسة والدين. إن الكتابة والتفكير والبحث كلها مجالات مستقلة عن المصالح السياسية الآنية وعن المعرفة التقليدية المتمثلة بالمعرفة الدينية المختصة بدراسة أصول الدين والكلام والفقة والشريعة ومناهج التفسير. هذه كلها مجالات تتعلق بالثقافة الدينية، أما الثقافة التي نقصدها فهي الثقافة الحديثة، ثقافة التجربة الانسانية والأسئلة الوضعية والصراعات الوجودية. وهذة الثقافة علمانية بطبيعتها، ليس بمعنى معارضتها او تناقضها مع الدين ولكن بمعنى إن حقلها يختلف عن حقل الفكر والممارسة الدينية. واعتقد ان من الخطأ إسقاط البعد الديني على البعد الثقافي. الثقافة تبحث في الموضوع الديني وتفكر فيه وتستلهمه على مستوى الرؤية والموضوع من خلال أعمال فنية وأدبية، لكنها غير ملتزمة بالضرورة بالاطار الديني للنظر لأن حقلها التجربة الانسانية النابضة بالحس والخبرة الحية، والمشحونة بأسئلة الخيال والابداع، والمتشكلة باللغة أو الصورة أو اللون أو الجسد، أي بأساليب تعبيرية.

نواجه اليوم في العراق نوعاً من الإلتباس في التمييز بين هذا وذاك، كما نواجه صراعاً بين الثقافة الشعبية والثقافة العالية، ونواجه أيضاً بوادر تكرار النزوع إلى الهيمنة السياسية على الحياة الثقافية وكأننا لم نخرج من مرحلة من أكثر مراحل تاريخ العراق تجسيداً لتعسف الفكرة السياسية العقائدية حين تفرض على الثقافة فرضاً من فوق. تجربة حكم البعث في العراق جسدت مخاطر هيمنة العقيدة الواحدة التي ورطت الثقافة والفنون بمهام تعبوية طارئة وقيدتها برؤية قومية خادعة، والزمتها بتمجيد القائد وحزبه والترويج لشعارات مبتذلة وأفكار عدائية. الكتاب والفنانون والنقاد الذين خالفوا مسلمات وشروط السلطة السابقة واجهوا مشاكل حقيقية أو إختاروا الصمت أو الهجرة. اقول إن بلدنا اليوم بعد تلك التجربة المريرة يحتاج إلى فضاء للحرية يجد تحققه الملموس في احترام مجالات التفكير والمعرفة والإبداع. والخطورة تأتي من التسييس القسري للحقل الثقافي وتوظيفه لصالح هذه الأيديولوجية أو تلك، الأمر الذي سيفقده خصيصته الأساسية التي هي الإبداع والمخالفة والإجتهاد ، أو من عودة المثقف ممتثلا للدولة الأبوية.

اما بالنسبة للشطر الثاني من السؤال، فالأمل معقود على المثقف العراقي في المساهمة بصنع نظام إنتاج ثقافي متعدد المصادر ومتنوع الإتجاهات، وفي لعب دوره كمروج لرؤية إنسانية عقلانية منفتحة على العالم، تسهم في ترسيخ قيم المساواة وحرية الانسان وكرامته وخلق استجابة عامة للفن والجمال. المجتمع الذي يخلو من الابداع الثقافي هو مجتمع عاجز عن ادراك هويته، وقاصر عن وعي تجربته في التاريخ. في العراق، بعصريه القديم والحديث، لدينا رموز وأعلام في الأدب والفكر، ولنا رصيد من الإبداع الثقافي الذي يدعم هويتنا الجماعية. ينبغي أن لانسى إن الثقافة بوصفها مجموع النتاجات الفكرية والعلمية والفنية هي التي تصنع شخصية الشعب. المواطن العراقي، مثلاً، يجد جزءاً أساسياً من ذاكرته التاريخية المعاصرة مجسدة في نصب كنصب الحرية للفنان جواد سليم، وأقصد المواطن الوسطي الذي يمتلك حداً معقولاً من المعرفة بواقع مجتمعه وتاريخه. ما تفعله الثقافة في الواقع هو إيجاد فرص للتماهي بين الفرد ومجتمعه، ومن ثم صناعة ذاكرة مشتركة وهوية تجمع الشعب ضمن زمان ومكان فعليين أو رمزيين، وضمن فضاء تخيلي للواقع والتاريخ.

نحن نتكلم عن هوية جماعية تضم الشعب من خلال منجزه الثقافي المتحقق في الماضي القريب او في الحاضر، وله امتدادات عميقة في الماضي. التغيير الكبير الذي مر به المجتمع العراقي بعد عام ٢٠٠٣ افرز حالة من التشظي والتفكك في مكونات المجتمع وهذا أمر ملازم للطور الانتقالي نحو نظام جديد يقوم على الحرية والحقوق والمواطنة. هذا الانتقال الصعب جلب معه ظاهرة تفكك الولاءات وتشتت ارشيف الذاكرة الجمعية للشعب العراقي، وهو ما كان قد حصل أصلاً منذ تسعينيات القرن الماضي. كل صار يبحث عن هوية جزئية أو ولاء فرعي ممثلاً بمذهب او طائفة او عشيرة أو منطقة. ظهور هذه الملامح المجزئة للهوية يعكس مجموعة من الاشكالات العميقة، أولها، ضعف انتظام العراقيين في اطار دولة قادرة على توحيد صورة المجتمع ودمجه، وبالتالي تحولها إلى مرآة أو مرجع للمجتمع، واقصد بالمرجع منظومة القوانين ونظم العمل والادارة والتطلعات المشتركة التي تنظم وتضبط حركة المجتمع. وضعف الدولة حالياً تركها " فريسة" للمجتمع الهائج الذي غزاها ومزق جسدها، ووظفها لتلبية المصالح الخاصة لهذه الجماعة او تلك. النقطة الثانية تتمثل في ضعف قيم المواطنة. هذه أيضاً مشكلة حقيقية يعاني منها المجتمع العراقي. المواطنة ليست رابطة عاطفية ولا شعور أمني، إنها علاقة قانونية في إطار نظام جمهوري يقوم على الافراد الاحرار. لكن الفرد الحر عندنا لم يصبح حقيقة ملموسة، واذا ضمنت له النصوص القانونية مواطنيته، فذلك لا يتحقق على مستوى الممارسة. عندما اتكلم عن المواطنة اتكلم عن استقلالية المواطن بضمانات قانونية تحمي حقوقه وتحدد واجباته. هذه المواطنة هي القوة المانعة ازاء التأثيرات الطائفية والعرقية والعشائرية. للأسف أدت غلبة هذه التأثيرات إلى إنتاج "مواطن" ذي بعد واحد يحمل الولاء للجماعة ويحتمي بها من الدولة العاتية. هذه الظاهرة، كما هو معروف، ترتبط بالتحولات الكبيرة التي مر بها المجتمع العراقي، في العقود الاخيرة، خصوصا في فترة الحرب مع إيران حيث تغيرت خريطة المدينة التي هي حاضنة ومسرح لقيم المواطنة. المقصود هنا شبكة العلاقات المدينية، الحرة، الشخصية وغير الشخصية التي تميز سكان المدينة عن اهل الريف حيث تسود علاقات القرابة والدم والتضامن. العلاقات في المدينة يحددها العمل والمصلحة والجيرة وهي ناتجة عن الإرتباط الوظيفي بالدولة أو بالسوق. فانشاء احياء خاصة للعمال أو المعلمين أو المهندسين أو الضباط مثل حاجات اجتماعية ناتجة عن علاقات العمل أو المهنة، وهي علاقات تنطوي على إمكانيات التفاعل والإنفتاح والتسامح. وهذه السمات المدينية كانت موجودة عندنا لكنها سرعان ما بدأت تندثر تدريجياً منذ نهاية السبعينيات بحكم الوضع القمعي والهجرات الداخلية الواسعة التي فتتت نسيج الحياة المدينية. نتيجة لذلك تحولت المدينة في حالات عديدة إلى حاضنة لأشكال من التضامن العشائري وعصبيات الجماعات الموضعية.

نتكلم اليوم عن ثقافة متريفة وهناك ترييف متحقق بالفعل، نقول ذلك دون أن نفترض ان المدينة ينبغي أن تظل محاطة بسورها الأمين العازل لعواصف الزمن وتحولاته. الهجرات جزء من تاريخ المدينة، وهي مسألة طبيعية رغم أن ما يؤخذ على مدينتنا وسواها من المدن العربية أن قدرتها على استيعاب الهجرات اضعف بكثير من قدرة الهجرات على فرض أنماط حياتها. هذا ما حصل في عاصمة كالقاهرة وسواها من العواصم العالم ثالثية. أي أن المدينة لم تكن مهيأة اقتصادياً واجتماعياً وتنظيمياً لاستيعاب ودمج الوافدين الجدد فيها.

❖اليسار العراقي يمر بأزمة، بل نقول انه مبعثر بعد إن كان الواجهة الحقيقية للثقافة العراقية. هناك احزاب تدعي اليسار وهي بعيدة عن اليسار اصلا؟

- اود إن أميز أولاً بين فكرة اليسار وبين الاحزاب التي تدعي تمثيل اليسار. فكرة اليسار مثيرة للجدل لأن هناك من يقول إن اليسار واليمين قد سقطا كمفاهيم بفعل كون المجتمع المعاصر صار يسير باتجاهات لا تنسجم مع توصيف كهذا. اعتقد إن فكرة اليسار لا تزال قائمة لأنها ترتبط بموضوعة العدالة الاجتماعية، وتدفع باتجاه التغيير، وتناصر ميول زعزعة مسلمات المؤسسة والتقليد للخروج من حالة الجمود والإمتثال. إنها فكرة تفتح مجالاً للتفكير للاستجابة للتغيير في عالم متغير. لذلك لا تزال فكرة اليسار تمتلك مشروعيتها.

أما بالنسبة لأحزاب اليسار فلها تصورات ومشاريع متنوعة ومتباينة. الاتحاد السوفيتي الذي كان في يوم من الأيام قبلة اليسار، أعتبره بعض اليساريين نموذجاً للدولة البيروقراطية. هناك احزاب شيوعية وعمالية نابتة في مجتمعاتها وتعمل من أجل التغيير والعدالة، وهناك بينها ما يمر بحالة سبات فكري وسياسي، وهناك قوى واحزاب يسارية أثبتت وجودها عبر صناديق الإقتراع، وهناك أخرى مغامرة تردد مقولات ووعود طوباوية، وتخالف منطق الواقع بدرجات متفاوتة. في عراق اليوم يشخص اليسار من مشروعه الاجتماعي، إلتزامه بمبدأ المساواة، تعويله على دور الدولة في تنظيم الحياة الاقتصادية والخدمات العامة وخلق فرص عمل، الوقوف إزاء سياسة السوق المتطرفة، نقد الافكار البالية والتقاليد المتحجرة، وتبني موقف إيجابي من النقلات التي يمر بها المجتمع الانساني. في زمن العولمة التي صارت تفرض على اليسار إعادة النظر ببعض مفاهيمه عن الواقع الإجتماعي، يقف اليسار مع الحركات غير التقليدية المعارضة للعولمة الامبريالية ويناضل من أجل توزيع عادل للثروة على مستوى العالم، حرية حركة الأيدي العاملة، وحماية البيئة. تلك هي مفردات اساسية في المشروع التاريخي لليسار. على مستوى الثقافة، يواجه اليسار تحديات هيمنة ثقافة الإمتاع الرخيصة والاستهلاك والتحكم الضار لمنطق السوق في مصير الثقافة الجادة.

في العراق اليوم ميول يسارية من شتى الأنواع وحول مختلف القضايا. هناك بين اليساريين من يتمسك بنموذج ما للمجتمع الاشتراكي، وهناك من يصنف على اليسار لأنه يتمسك بالحقوق الاساسية للمواطن وحرية التعبير وسيادة القانون، أو بالنظرة العلمانية الرافضة للتطرف الديني وباستقلالية الدولة عن المجتمع . هكذا لدينا مجموعة من القضايا والمواقف التي تقترب بدرجة أو باخرى من فكرة اليسار وتسهم في صياغتها الملموسة كمشروع تاريخي. اليسار فكرة متحركة رغم ما فيها من ثوابت، ولا يوجد طرف يحتكرها لوحده. في العملية المعقدة التي نمر بها يحدث فرز بين اتجاهات محافظة فكريا وثقافياً وأخرى تنزع إلى التجديد والتغيير. وبالتاكيد فأن المثقفين ينتمون إلى القوى الأكثر إدراكاً لقيمة المعرفة في التحرر الإنساني، لأهمية حرية التفكير والتعبير، للحاجة إلى رفض الطائفية والإرهاب.

أعتقد أن المجتمع العراقي سيشهد مع تزايد الصراع تبلور مواقف أكثر وضوحاً من قضية الحقوق والحريات، من دور المجتمع المدني، وسيتحقق خلال السنوات القادمة فرز فكري وسياسي بين قوى التغيير الديمقراطي والقوى المراهنة على الأمر الواقع. المعرفة ومستوى التعليم، الخبرة السياسية والمصالح العملية للناس ستساعد على تشديد المطالبة بإقامة نظام سياسي مدني، والوقوف ضد الميول الشعبوية المرشحة للإتجاه نحو ديكتاتورية من نوع ما.

مراجعة ليست نهائية

بعد ستة عقود من تاريخ الحداثة الشعرية العراقية: ما الذي تعنيه تجربة السياب؟

فاضل ثامر

يأتي احتفالنا هذا العام بالشاعر الكبير بدر شاكر السياب متزامناً مع مرور نصف قرن على انطلاقة حركة الحداثة ترى ماذا تعنيه تجربة الشاعر الراحل بدر شاكر السياب اليوم بعد نصف قرن من عمر الحداثة الشعرية العراقية؟ هل أصبحت هذه التجربة جزءاً من الماضي بعد ان اجتاحت حركة الحداثة، وربما ما بعد الحداثة ايضاً سيول وموجات واجيال واختراقات متعاقبة؟ هل اصبح السياب جزءاً من موروث كلاسيكي لا يصلح الا للدراسة التاريخية؟

وبالتحديد بوصفه رائداً "ما الذي تبقى منه" مستعيدين تساؤل الشاعر صلاح عبد الصبور عن مبدعين اصبحوا جزءاً من التاريخ ؟ وهل يصح القول اليوم ان ريادة السياب الحداثية كانت هامشية وعرضية وغير جذرية، وانه بالتالي لم يمس الا القشور والاطر الخارجية للقصيدة العربية، العروضية والبلاغية والدلالية؟ وهل ان موجات التجريب الشعري التي انتجت ضروباً تعبيرية وكتابية مغايرة ورسمت تضاريس وخرائط شبه فنطازية مثل قصيدة النثر وقصيدة النص وقصيدة النص المفتوح التي تتداخل فيها حدود التجنيس اضافة الى تنويعات ملحمية درامية ومشهدية وسردية بالغة الجسارة والتنوع جعلت تجربة السياب الشعرية متخلفة ومتواضعة وعقيمة؟

هذه الاسئلة وربما غيرها تمثل بالتأكيد عبئاً ليس سهلاً على الناقد الذي يقف لغرض المراجعة ليطل على مسيرة شعرية محتشدة وممتلئة وباذخة امتدت لفترة خمسين عاماً اذا اعتبرنا ان العام ١٩٤٧ الذي شهد ولادة قصيدة السياب "هل كان حباً" صدرت في ديوان "ازهار ذابلة" منتصف كانون الأول ١٩٤٧ حسب رواية الشاعر الذي دشن انطلاق حركة الحداثة الشعرية ممثلة بظهور قصيدة الشعر الحر التي اقترنت بدورها بنزعة عارمة لتحديث بنيات المجتمع العراقي، والكثير من بنيات المجتمعات العربية المادية والفكرية للخروج من نفق التخلف والالتحاق بركب الحضارة الإنسانية فكان ان تزامنت مع حركة الحداثة الشعرية في العراق حداثات موازية ومتزامنة منها الحداثة التشكيلية ممثلة بتجربة مدرسة بغداد للفن الحديث التي اطلقها الفنان الكبير جواد سليم والحداثة القصصية التي دشنتها كتابات عبد الملك نوري وفؤاد التكرلي ومهدي عيسى الصقر وغائب طعمة فرمان وحداثة مسرحية أطلقتها تجارب فناني المسرح في معهد الفنون الجميلة وفيما بعد من خلال تأسيس فرقة المسرح الحديث بمثلثها المعروف: ابراهيم جلال وسامي عبد الحميد ويوسف العاني وحداثات أخرى في ميادين الكتابة الابداعية والفكرية والصحفية والسينمائية والاكاديمية.

مرة أخرى ليس سهلاً الاجابة السريعة عن كل هذا الحشد المشروع من التساؤلات القلقة، لكنني الان، وبعد مرور نصف قرن من سيرورة حركة التحديث الشعري الأول اشعر بثقة اكبر بان السياب مازال حياً بيننا، ومازال صوته مؤثراً وفاعلاً وبانياً، ويتأكد خلال هذه السيرورة الخلاقة ان دور السياب التحديثي والريادي كان اساسياً وكبيراً، وربما يفوق، الدور الريادي الذي اضطلعت به الشاعرة الكبيرة نازك الملائكة التي شاركت الشعر العربي خلال نصف قرن مليء بالصخب والادعاءات والتجريب، وبشكل خاص بعد ان دخلنا الالفية الثالثة، اذ ظل المتن الشعري السيابي هو المرجعية الاساسية لكل التنويعات والضروب والالوان الشعرية والكتابية ولان هذا المتن هو الذي اسس لشفرة جديدة بين النص والمتلقي لم تكن متوافرة قبلاً في الشعر العربي، ومأثرة السياب انه لم يتوقف عن التجدد والتحديث ولم ينكفئ الى الوراء، كما كان الامر مع الشاعرة نازك الملائكة فحقق خلال مسيرته الشعرية نقلات حداثية محسوسة انتقل فيها من بدايات تحديثية اولية سجلت في ديوانه الاول ازهار ذابلة ١٩٤٧ لم تقطع جذورها نهائياً برومانسية النصف الاول من القرن العشرين وبموروث لغوي وبلاغي وعروضي كلاسيكي عريق الى كشوفات جريئة في بناء قصيدة حداثية تعتمد البنية الموضوعية والصورية وكفن من الكشوفات السردية والملحمية، والاسطورية والرمزية في دواوينه الشعرية اللاحقة وبشكل خاص في ديوانه "انشودة المطر" الصادر عام ١٩٦٠ فكان متن السياب الشعري بحق متناً تعددياً مكتظاً بالاصوات الشعرية الفرعية والاحالات والايحاءات واهم من كل هذا وذاك ان هذا المتن هو الذي فتح الطريق امام المزيد من كشوفات واضافات واجتراحات الشعراء العرب الحداثيين في النصف الثاني من القرن العشرين، حتى يمكن القول بثقة ان ما تحقق في مسيرة نصف قرن من تجربة الحداثة الشعرية العربية من تجارب وتنويعات كتابية لم يكن لها ان تكون كذلك دون تجربة السياب التي كانت بمثابة البؤرة المولدة المشعة والمؤثرة في كل ما تلاها من انجازات وعطاءات لذا يظل السياب هو الغائب الحاضر بيننا دائماً.

السياب

السياب في ايقاد شمعة الحداثة الشعرية عام ١٩٤٧ لكنها لم تستطع ان تتخطى خط الشروع الأول وظلت، حتى في افضل تجلياتها، مشدودة بحبل سري وغير مرئي، لا الى "شجرة السرو" فقط، بل الى جذر رومانسي يربطها بمدرسة ابو للو وشعراء المهجر الرومانسيين وبمدرسة الشعر الرومانسي الانكليزي بشعرائه كيتس وكوليردج ووردزورث وشيلي وبليك وغيرهم، بل هذا الخيط اللامرئي يشدها بقوة غير منظورة الى ركام من الموروث الشعري البلاغي والنحوي واللساني الذي لم تستطع اختراقه لتحقق بشكل كامل قصيدة الحداثة التي كان لها شرف التبشير بها سوية مع السياب وفي عام واحد، وربما في الشهر ذاته.

هذا الاحساس ، بان السياب هو الرائد الحقيقي، فنيا وتاريخياً لحركة الحداثة الشعرية راح يتأكد لدي في هذه المراجعة المتأنية من معاينة مسيرة

تكملة شعراء الحلة أو البابليات خلال ٧٥ عاماً

((الكتاب يمثل جهد ثلاثين عاما من الجمع والتبويب والبحث))

محمد هادي
بابل

د. صباح نوري المرزوك أستاذ وباحث دؤوب توزعت اهتماماته بين التدريس والإشراف والفهرسة ومن ابرز اعماله ((معجم المؤلفين والكتاب العراقيين)) ١٩٧٠ - ٢٠٠٠ في اجزائه الثمانية والذي صدر عن بيت الحكمة في بغداد ساهم في رصد حركة التأليف العراقي خلال ربع قرن من الزمان وكان هذا العمل عونا للكثير من الباحثين والدارسين ولايزال هؤلاء يقصدونه ويعيدون النظر فيه واخذ حيزا من الكتابة في الصحف والمجلات كذلك كتب المرزوك عن مدينته الأثيرة (الحلة) وكان اخر ماصدر له كتاب شامل استوعب عددا كبيرا من شعراء هذه المدينة اسماه ((تكملة شعراء الحلة او البابليات)). تخرج المرزوك في كلية الاداب –جامعة بغداد سنة ١٩٧٢ واتم دراسته العليا في انقرة في الادب المقارن مما اهله للقيام بمهامه التربوية والتدريسية في قسم اللغة العربية بجامعة بابل منذ افتتاحه عام ١٩٩٣ وحتى اليوم كتب عددا من الابحاث والف عددا من الدراسات عن الحلة تناولت الثقافة والامثال والاقوال والكتابات والصحافة والاعلام والتراث وما قيل في الحلة من شعر لشعراء من المدينة نفسها واخرين زاروها واعجبوا بها فرسموا اعجابهم بالكلمات.

التقينا د.صباح نوري المرزوك وكان معه هذا الحوار.

❖ماذا تعني تكملة شعراء الحلة؟

-الحلة مدينة لها مرجعية عريضة في عمق التاريخ فقد ولدت في رحم بابل سنة ٤٩٥ هـ-١١٠١ م على يد الامير العربي صدقة بن منصور الاسدي الذي اختارها وبناها لتكون عاصمة لمملكته التي اسماها (الامارة المزيدية) المعاصرة لحكم السلاجقة في بغداد وقصده الشعراء وتشبة بسيف الدولة الحمداني وتوسعت امارته وظهر فيها شعراء كبار على مر السنين فشهد لذلك باحثان كبيران هما الشيخ علي الخاقاني وسمى كتابه ((شعراء الحلة)) والشيخ محمد اليعقوبي وسمى كتابه ((البابليات)) وهما بذلك قدما خدمة كبيرة اذ ارخوا تاريخ الحلة الادبي حتى سنة ١٣٥٠هـ ١٩٣٠ م ورأيت ان مرور ٧٥ عاما ليس قليلا لذلك شمرت الساعد في المباشرة بتأليف تكملة شعراء الحلة حتى عام ٢٠٠٦ وكان عدد الشعراء ٣١٧ شاعرا وهو كما يبدو ليس بالعدد القليل اذا ماقيس عدد الشعراء بما موجود في مدن عراقية وعربية اخرى في كتب مقارنة .

❖ماهي مصادرك في كتابك الجديد ؟

- هدفي الاول الشاعر نفسه فاذا كان حيا رجعت اليه ونقلت منه ورويت عنه واذا كان متوفيا رجعت الى اهله وعشيرته وولده واصدقائه واذالم احصل على معلومات رجعت الى ما ورد له في الكتب المطبوعة والمخطوطة اوما اثر عنه في قلوب حفظة الشعر ورواته .

❖المعاناة والصعوبات التي واجهتك في تاليف الكتاب؟

-يفرح الباحث كثيرا بالنتائج التي يصل اليها وينسى كل المشكلات التي تعترضه في طريقة والتي قد تكون حائلا امام نجاح مشروعه وديمومته ولعل من الغرائب ان وريث الشاعر لايعرف ان اباه شاعر وله شعر فهو لايعرف له ورقة مكتوبة فيها شعر لوالده وانما بعد وفاة والده وجد بعض الاوراق ودفاتر قديمة مكتوبة في خزانة ابيه ذهب بها الى مسجد المحلة او رماها في نهر الفرات خوفا من رميها في مكان اخر ويكون فيها ذكر ((القرآن الكريم)) وقد رأيت ان يكون الشاهد الشعري من غير نصوص الدواوين الشعرية المطبوعة للشاعر لان القارئ يمكن ان يراجع هذه الدواوين

❖ماذا يعني هذا الكم من الشعر والشعراء؟

-في عالم البحث يعني الشيء الكثير فقد عاش هؤلاء الشعراء في عصور مختلفة فكانت اشعارهم تمثل الزمن الذي كتبوا فيه نتاجهم والغريب ان الجامع لاكثر هؤلاء الشعراء هو الفقر فقد لعن اكثرهم الفقر ودعوا الله الى الغنى ولو غنى النفس في اقل تقدير.

كما يمثل الشعر المنظوم احساس الشعراء بالاحداث التي تجري حولهم وفي العالم فالشاعر بوتقة من خلالها يظهر الكلم الطيب وهو مرآة المجتمع.

❖ماذا تشعر وكتابك يخرج الى السوق مطبوعا؟

-انا فرح جدا ومسرور لانني ارى امامي جهد ثلاثين عاما من الجمع والتبويب والاختيار والاعداد والتنقيب والبحث لاني جمعت تراث الحلة الشعري في سلة يمكن حملها والتنقل بها حيثما يشاء القارئ ولكي اتفرغ لمشاريعي الاخرى التي تنتظر الصدور.